



وذكر

الدكتور محمد خير الشعال

الحلقة الرابعة

((أسباب قسوة القلب))

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، مرحباً بكم مرة أخرى يا أيها الإخوة ويا أيتها الأخوات الكريمات في حلقة جديدة من برنامج ((وذكر))، حلقة اليوم دقيقة جداً ومهمة جداً وخطيرة جداً، عنوان حلقة اليوم: ((أسباب قسوة

القلب)) ، لماذا تقسو قلوب أقوام فلا يفهمون عن الله أو أمره، لماذا ترق قلوب أقوام حتى يفهم عن الله تعالى مراده ، لماذا تشعر بأن أناساً قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة، وأناس ترى قلبه رقيقاً وصدره منشرحاً والتزامه بأمر الله واضحاً وسريعاً، حلقة اليوم تحدثنا عن أسباب قسوة القلب ، سيدنا عبد الله بن مسعود قال مرة لنا : ((ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا

الله تعالى بهذه الآية : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا

يُكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

إلا أربع سنين)) [مسلم] بعد أربع سنين من إسلام هؤلاء عاتبهم الله تعالى بهذه الآية ، كم سنة صار لك من الإيمان ، كم عام صار لك وأنت مؤمنة ، ما أخبار القلب ؟ هل هو قلب خاشع أم أنه قلب قاسٍ ، لقد وصف الله تعالى قلوب الكفار بعشر صفات في القرآن ، هذه الصفات شديدة جداً بالختم والطبع والضيق والمرض والران والموت والقساوة والانصراف عن الخير والحمية الجاهلية والإنكار ، الشاهد عند القساوة ، بالمقابل يا أيها الإخوة نحن نقرأ في كتب التراجم والسير عبارة تتكرر مراراً عن فلان وفلان من الصالحين الخيرين العاملين الجيدين يقولون كان رقيق القلب غزير الدمعة، مثلاً ذكروا عن سحنون الفقيه المالكي، هذا سحنون كان ثقة حافظاً للعلم وهو فقيه، قالوا كان رقيق القلب غزير الدمعة ظاهر الخشوع متواضعاً ، وإن تعجبوا فاعجبوا من السلطان صلاح الدين الأيوبي هذا الذي حرر القدس

وفتح بلاداً للمسلمين وما أدراك ما صلاح الدين ، ذكروا عنه بأنه لم تفتحه الجماعة في صلاة قبل مماته بوقت طويل ، حتى في مرض موته ، وكان يتجشم القيام مع ضعفه ، وكان يحب سماع القرآن العظيم ويواظب على سماع الحديث وكان رقيق القلب سريع الدمعة عند سماع القرآن والحديث كثير التعظيم لشعائر الدين ، وكلكم يذكر سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم قال للصحابه الكرام : ((مروا أبا بكر يصلي بالناس ، قالت عائشة : يا رسول الله إن أبا بكر رجل أثيف إذا قام مقامك ليصلي بكى حتى لم يسمع الناس ، قال : مروا أبا بكر فليصلي بالناس)) [البخاري ومسلم] وكان أبو بكر رجلاً رقيق القلب ، ما أخبار قلبك أنت ، وما أخبار قلبك أنت ؟ ما أخبار اللين والرفقة في هذا القلب أم أن القلوب قاسية ، حلقة اليوم أسباب قسوة القلب ، والهدف من هذه الحلقة أن يجتنب أحدنا الأسباب حتى لا تقع في هذه القسوة ، أسباب قسوة القلب ثلاثة : أولها الذنوب والمعاصي بدون توبة ، يا أيها الإخوة كلنا خطاء وكلنا مذنب ، لكن إذا أذنبت فتب ، إذا وقعت فقم ، إذا زلت قدمك فلا تبق أرضاً ، ليس العيب أن تقع ولكن العيب أن تبقى أرضاً ، الذنوب والمعاصي تطبع على القلب ، تختم على القلب ، تقسى القلب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من ترك الجمعة ثلاث مرّات تهاوّن بها طبع الله على قلبه))

[الترمذي وابوداود والنسائي] إنها قساوة القلب ، وقال الله تعالى : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ

لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة : 13] بسبب نقضهم الميثاق ، بسبب معصية الله تعالى ، لقد قال الصالحون : (من أكل الحرام قسى قلبه) ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً ، نُكِّتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَعْفَرَ وَتَابَ ، صُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ ، زِيدَ فِيهَا ، حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ ، وَهُوَ الرَّأُّ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ : ﴿كَلَّا بَلْ

رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾)) [الترمذي]

إياك يا أخي وإياك يا أختي وهي مدارس بيننا أن يملئ الران قلوبنا بكثرة ذنوبنا ، لا بأس أن يقع أحدنا لكن ليقوم ، لقد قال بعض الصالحين : (إن القلب بالكف وبسط كفه ، إذا أذنب

العبد فُبِضَ وضم إليه أصبعه، ثم إذا أذنب قبض، ثم إذا أذنب قبض، ثم إذا أذنب قبض، ثم
إذا أذنب قبض، فيصير القلب قاسياً) ، وقال آخر : (إن القلب كالصحيفة فإذا أذنب
العبد وخز في قلبه وخزة فكانت ثقباً، فإذا أذنب آخر وخز وخزة فكانت ثقباً، فإذا
أذنب آخر وخز وخزة فكانت ثقباً حتى يصير القلب كالغربال لا يعلق فيه شيء من
الخبي).

السبب الأول في قسوة القلب: هو الذنوب والمعاصي بدون توبة ، أرأيت إلى شاب

يمشي في الطريق يطلق عينيه إلى الحرام وهو يسمع قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ ﴿١٠﴾

[العلق : 14] لكن القلب قاس، أرأيت إلى شريكين جلسا مع بعضهما البعض في غرفة خاصة وبيتا تزويراً للمعاملة من معاملة باقي الشركاء وزورا التواقيع ألم يسمعوا قول الله تعالى :

﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه : 46] لكن القلوب قاسية ، أرأيت إلى امرأة تُغضب زوجها وتُغضب ربها وتخرج من بيتها بدون إذن زوجها ثم هي تبیت مسخطةً ربها ومسخطةً زوجها ، ألم تسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَصْبَحَ)) [البخاري ومسلم] لكن القلوب قاسية ، قسوة القلب أول سبب من أسبابها الذنوب والمعاصي بدون توبة.

السبب الثاني : مجالسة قساة القلوب:

بالطبع يا أيها الإخوة من جالس جانس ، إذا جالست الصالحين صرت منهم ، وإذا جالست البعيدين عن حضرة الله تعالى صرت منهم ، أ رأيت إلى أرقّ خلق الله قلباً ، من ؟ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ماذا قال الله تعالى له في سورة الكهف التي تقرأونها في

كل يوم جمعة : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ

فُرْطًا ﴿الكهف : 28﴾ ، لقد قال الله تعالى لأصلح خلقه وهو سيدنا محمد صلى الله عليه

وسلم أن يصاحب الصالحين وأن يجالس أصحاب القلوب الرقيقة ، السبب الأول لقسوة القلب هو الذنوب والمعاصي بدون توبة ، والسبب الثاني مجالسة قساة القلوب ،

السبب الثالث والأخير : الإكثار من الشهوات:

كثرة الطعام ، كثرة الشراب ، كثرة الكلام ، كثرة الضحك ، كثرة المنام ، أما في كثرة الضحك فقد جاء في الحديث : ((كثرة الضحك تميم القلب)) [الترمذي] ، وأما كثرة المنام فقد قالت أم سيدنا سليمان لولدها سليمان وهي زوجة نبي وهو سيدنا داود وأم نبي وهو سيدنا سليمان ، قالت أم سليمان لسليمان : (يا ولدي لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تدع صاحبها فقيراً يوم القيامة) ، هذه أسباب ثلاثة لقسوة القلب ، الذنوب والمعاصي بدون توبة ، مجالسة قساة القلوب ، وإتباع الشهوات ، والإكثار من المباحات.

في الختام كيف العلاج ، فلو أن أحداً أصيب بقسوة في قلبه فماذا يفعل ؟ إلى أين يذهب ؟ من الأطباء المختصون لمعالجة هذا القلب المتألم القاسي وأبعد القلوب عن الله القلب القاسي ؟ العلاج بيدك أنت ، لكن احفظ هذه الثلاثة ويا ليت أن تسجلها عندك :
الأمر الأول بترك الأسباب ، فاترك الذنوب والمعاصي واترك مجالسة قساة القلوب واترك كثرة الشهوات والمباحات.

والأمر الثاني بالمحافظة على الطاعات ، وهذه مواسم خيرات أيها الإخوة فتعالوا نحافظ على الطاعات.

والأمر الثالث والخير بالإكثار من ذكر الله ، ((إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وإن جلاءها بذكر الله)) [البيهقي] ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : 28] ،

سعدت برؤياكم وبلقياكم مرة جديدة في برنامج وذكر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .